حوار: عبد الرحمن هاشم
abhashem17@yahoo.com

الدكتور سيد دسوقي حسن لـ" الرسالة ":

التقتير على العلماء وسياسة "فضهم" عن تنمية أوطانهم جريمة لا تغتفر

المفكر والعالم المصري الكبير الدكتور سيد دسوقي حسن - أستاذ هندسة الطيران بجامعة القاهرة - اسم يمثل حضورًا متميزًا على الساحة البحثية والتقنية المتطورة، ليس في العالم العربي فقط، بل على الساحة العالمية أيضًا، وذلك من خلال دراساته الأكاديمية في مجال بحوث الفضاء وهندسة الطيران، ثم إسهامه الواضح في حقل الفكر الحضاري الذي قدم فيه خلاصة نظراته ورؤاه التنموية والتجديدية عبر عشرات المقالات والبحوث المنشورة.

حصل د. دسوقي على الدكتوراه في هندسة الطيران من جامعة ستانفرد الأمريكية عام ١٩٦٥م، وتم اختياره ليرأس التجمع الإسلامي العربي في أمريكا الشمالية، وخلال عشر سنوات من توليه هذا المنصب، استطاع تصحيح المفاهيم الإسلامية المغلوطة لدى ملايين الأفارقة الأمريكان، كما عمل مستشارًا فنيًا لأكثر من وزير دفاع عربي في فترة بناء الجيوش العربية، وكان له دور بارز في التدريس لطلبة الكلية

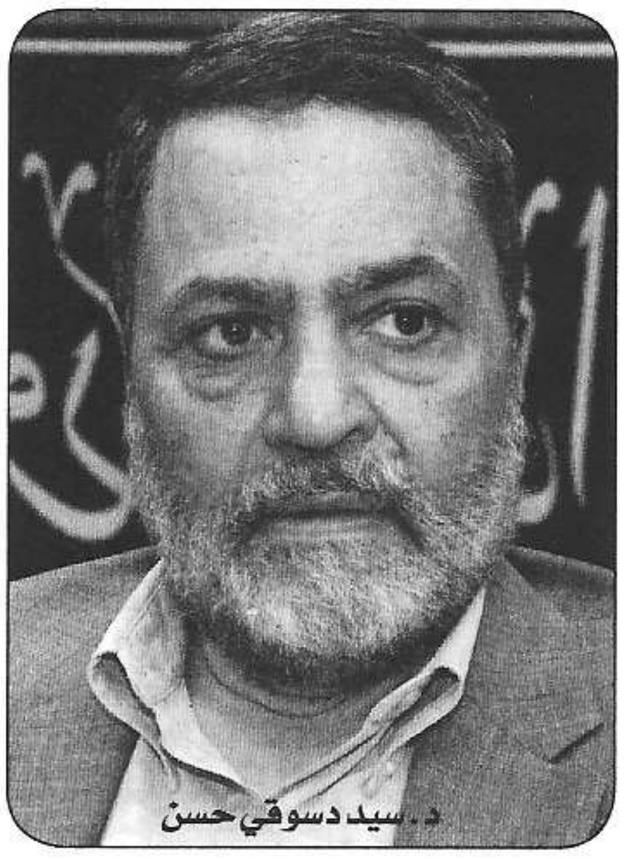
د. سيد دسوقي حسن

الفنية العسكرية بمصر قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣م، كما عمل مستشارًا لوزير التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية.

شرَّق في العالم وغرَّب، لكنه ظل ابنًا وفيًا للحركة الإسلامية في مصر والعالم الإسلامي، كما ظل ابنًا بارًا بوطنه. التقيناه وهو يقف على أعتاب الثالثة والسبعين - مد الله في عمره - لنتحاور معه حول مشوار حياته وقضايا أمته الإسلامية والإحباطات التي ألمت بها، وكذلك استشراف مستقبلها، فكان هذا الحوار....

بداية كيف تقدم نفسك للقارئ؟

اسمي سيد دسوقي حسن، ولدت

في قرية المرج، مركز الخانكة، محافظة القليوبية، في ١٧ نوفمبر ١٩٣٧م، ولي من الإخوة الذكور اثنان، ومن الأخوات الإناث ثلاث.

كان والدي يمتلك أرضًا زراعية وورشة لصناعة الأحذية، فكنت أرابط بين الدراسة وورشة الأحذية والحقل.

ألحقني والدي بكتاب القرية، ثم المدرسة الابتدائية بالزيتون لمدة أربع سنوات، ثم مدرسة عين شمس الثانوية لمدة خمس سنوات، ثم التحقت بكلية الهندسة جامعة القاهرة قسم الطيران، وتخرجت الأول على الدفعة عام ١٩٥٩م، وعينت معيدًا بالكلية، وظللت بها حتى عام ١٩٦١م، ثم سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة دراسية، وأنهيت الدكتوراه عام ١٩٦٥م، وظللت هناك حتى عام ١٩٧٠م، وتزوجت ورزقني الله بأربعة أولاد: إيمان ونهى وزينب وأسامة، ولي من الأحفاد حتى الآن ١٢ حفيدًا.

رجعت إلى مصر في أوائل عهد الرئيس محمد أنور السادات، وعملت في مكتب وزير الحربية أولاً، ثم في مكتب وزير الإنتاج الحربي ثانيًا، وأعطيت جهدي لطلاب الكلية الفنية العسكرية ثالثًا، كل ذلك في الفترة من ١٩٧١م حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣م، ثم سافرت إلى المملكة العربية السعودية للتدريس فترة في الجامعة، وفترة مستشارًا في مكتب وزير التعليم العالي، ثم عدت إلى القاهرة في مايو ١٩٧٩م أستاذًا في قسم هندسة الطيران.

أيامي مع الإخوان

عشت فترة من أخصب فترات حياتك في ظل المحاضن التربوية لجماعة الإخوان المسلمين. مما كان له الأثر العميق في جميع مواقفك وتوجهاتك.. ماذا تقول لنا عن هذه الفترة؟

تعرفت منذ صغري على دعوة الإخوان المسلمين عن طريق الأخ مصطفى عطايا ابن عزبة النخل، الذي كان يأتي يوميًا من بلدته ليصلي معي في مسجد محطة المرج القريب من منزلي، وذات يوم دعاني لحضور حفل يقيمه الإخوان في السيدة زينب، فشاهدت لأول مرة الشيخ أحمد حسن الباقوري، والشيخ عبد الرحمن البنا، والشيخ عبد اللطيف الشعشاعي، والدكتور سعيد رمضان - زوج ابنة الشيخ حسن البنا - وأعجبت كذلك بالطالب الأزهري الذي قام وألقى قصيدة رائعة جاء فيها:

الشيخ أحمد حسن الباقوري

الليل طال! ألا فجر يبدده؟
رباه أرس لنا فلكًا وربانا!

في الاحتفال السنوي الخاص بتكريم أوائل الجامعات عام ١٩٥٩م صعدت لتسلم شهادتي من الرئيس جمال عبد الناصر، فصافحني بقوة وقال لي: مبروك يا أخ سيد

وكان هذا الطالب هو الشيخ يوسف القرضاوي، ابن كلية أصول الدين، فقمت وتعرفت به ودعوته ليلقي خطبة في قرية المرج بمناسبة المولد النبوي الشريف.

وبعد تفكير ومشاورات قررنا إنشاء أول شعبة للإخوان في المرج سرعان ما انضم إليها والدي وأقاربي وعدد غير قليل من أبناء القرية.

وفي هذه الفترة، تعرفت على الحاج **محمود يونس** - رئيس منطقة شمال القاهرة - وحضرت معه معسكرات "عرب جهينة" التي كان يحاضرنا فيها الدكتور **أحمد العسال** - رحمه الله - و الدكتور يوسف القرضاوي وغيرهما من الدعاة العلماء.

وبعد نجاحي في الثانوية، جاءني الحاج محمود يونس مهنئًا ومتسائلاً: إلى أين؟ فأجبت: إلى دار العلوم، فقال: "نحن لا ينقصنا مشايخ، لكن نريد من يقوم على صناعة الصواريخ والطائرات"، فالتحقت بكلية الهندسة - قسم الطيران.

وبعد أحداث ١٩٥٤م، اعتقل هؤلاء جميعًا في السجن الحربي الذي استشهد فيه الحاج محمود يونس بعد شهر واحد من دخوله جراء التعذيب الذي تعرض له.

أما العبد الفقير، فقد اعتقل في سجن الأجانب في مارس ١٩٥٤م؛ بسبب مظاهرة نظمها في المرج، وسرعان ما خرج ليكلف برعاية أسر المسجونين في منطقة شمال القاهرة بمساعدة الشيخ **محمد السداوي** - وكيل وزارة الأوقاف - الذي كان يقيم بالعباسية.

ووصل إلى علم جمال عبد الناصر ضلوع الشيخ أحمد حسن الباقوري - وزير الأوقاف - في أمر الشيخ السداوي، فاستدعاه لمكتبه، وعاتبه، لكن الشيخ الباقوري ذكّره بأن الشيخ حسن البنا قد كلفه من قبل برعاية أسر الضباط والجنود المحاصرين في الفالوجا، وأنه كان شاهدًا على ذلك، فسكت جمال عبد الناصر، ولم يتكلم.

الشيخ حسن البنا

ومرت السنون، وتخرجت في كلية الهندسة - قسم الطيران عام ١٩٥٩م، وكنت الأول على دفعتي، وتم اختياري لحضور الاحتفال السنوي الخاص بتكريم أوائل الجامعات، والذي يحضره الرئيس جمال عبد الناصر، واكتشفت أن هناك من يجلس بجواري لمراقبتي، كما اكتشفت معرفة الرئيس بأمري؛ إذ عندما جاء دوري لتسلم شهادتي منه صافحني بقوة، وقال لي: مبروك يا أخ سيد.

وقد شاركت الحضور في هذا الاحتفال الأخت علية الهضيبي، ونودي عليها باسمها الرباعي كاملاً: علية حسن إسماعيل الهضيبي، وتقدمت بحجابها الجميل لتتسلم شهادتها من جمال عبد الناصر نفسه.

ووجدت في التعيين بالجامعة صعوبة شديدة؛ بسبب تعنت المباحث، لكن الله هيأ لي أخًا فاضلاً هو الحاج عبد الله رفاعي - رئيس شعبة الإخوان في "بركة الحاج" - إذ بعلاقاته الطيبة ببعض العاملين بجهاز المباحث استطاع تمرير تعييني بالجامعة معيدًا بكلية الهندسة.

"الهمة الحضارية" و"البحث عن الواجبات الحضارية".. أهم ما يميز حركة الإخوان المسلمين

ظهور دعوة الإخوان المسلمين مثل حائط الصد أمام دعوات العلمنة والتغريب التي كان يراد لها التمكن من قلوب المسلمين والهيمنة على عقولهم".. أليس كذلك؟

نعم، فقد كان أهم ما يميز الإمام البنا هذه الهمة العظيمة، التي دفعته دفعًا إلى البحث في خريطة المهام الحضارية وإعداد نفسه لتحمل هذه المهام بما حباه الله من فضل، وأفاض عليه من علم، ومن قدرات متعددة، ولعل هاتين الخاصيتين: «الهمة الحضارية» و«البحث عن الواجبات الحضارية» هما أهم ما يميز حركة الإخوان المسلمين.

في ١٩٥٠ - ١٩٥١م تحول الفلاحون والعمال في قريتي بالمرج من جسد هامد متخلف إلى جسد حي ينشئ مدرسة ومستوصفًا، ويسعى في حركة تحارب العادات السيئة من تدخين الحشيش إلى التحلل الاجتماعي، كل هذا في عام واحد، بل بدأ هؤلاء الفلاحون يضطلعون بحفظ الأمن والضغط على عصابات القتل والسرقة حتى أقلعت عن جرائمها.

لقد كانت دعوة البنا دعوة إحيائية تحيي موات الأمة، وتعيدها إلى النبع الصافي من القرآن والسنة، متجاوزة عمليات الإحياء الضيقة التي كانت تقوم على نُتَف مذهبية أو نتف تاريخية، أو نتف عرقية. وهذا الإحياء لم يكن نظريًا، وإنما كان إحياءً عمليًا، فهذا الجسد الذي استهدفت الجماعة إحياءه محتل الأرض منهوب الموارد، تحيط به أمراض حضارية كثيرة. فهذا إذن إحياء تحت صليل السيوف المشوقة فوق رقابنا تحرس ما تراكم في وعائنا من تخلف حضاري.

لقد كان السائد قبل ظهور حركة الإخوان وفكر الإخوان أن الإسلام عقيدة روحية فقط، أي من دون سلوك أو شرائع، وكانت الحركة الصوفية تشيع هذا الأمر بين الناس حتى النخبة منهم، فكنت تقرأ كتابات إسلامية رائعة لأناس علمانيين في سلوكهم وحياتهم، لا يجدون ما يمنعهم من شرب الخمر، ولا يجدون بأسًا في ترك الصوم والصلاة.

فلما جاء حسن البنا رجع بالناس مرة أخرى إلى الفهم الشامل للإسلام، وعمل على إحياء الإيمان في قلوبهم والتعايش به في سلوكهم وحياتهم.

وما قلته يذكرني بصديق لي كان والده من أعظم مشايخ زمانه، وكان يجادلني في أهمية وضرورة وجود الحركة الإسلامية، فقلت له: قل لي ماذا كنت تفعل أنت وأقرانك كل يوم جمعة؟ فقال: نذهب إلى الملاهي ونحتسي الخمر. قلت: ويوم الخميس؟ قال: نذهب إلى شارع (كلوت بك) لمرافقة البغايا حتى الصبح!!

قلت: أنت كنت هكذا ووالدك من أكبر شيوخ مصر، بينما العبد الفقير ابن صانع الأحذية كان بعيدًا كل

البعد عما كنت تفعله أنت وأقرانك بفضل الله أولاً ثم بفضل تأثري بدعوة وحركة الإخوان.

وهذا هو عين ما صرحت به أمام نفر من رجال المباحث، فنقر أحدهم على مكتبه وقال: لا تنس يا دكتور سيد أننا جهاز مكافحة الإخوان.

الدعوة في أمريكا

حدثنا عن فترة وجودك بالولايات المتحدة الأمريكية وجهودك المثمرة في نشر الدعوة وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام لدى المسلمين السود هناك؟

في عام ١٩٦١م، سافرت في بعثة دراسية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك التقيت مجموعة من طلاب العالم العربي، ومنهم الدكتور محمد صقر الذي أصبح بعد ذلك رئيسًا للجامعة الإسلامية في غزة، والذي قام بإصدار مجلة "المنار" من بوسطن، وهي أول مجلة إسلامية في أمريكا، والدكتور سلطان أبو علي الذي أصبح بعد ذلك وزيرًا للاقتصاد في مصر، وكلاهما كان يدرس الاقتصاد في هارفرد.

د. سلطان أبو علي

وكان هذا اللقاء الذي جمعني وصقر وسلطان هو نقطة البدء في عمل إسلامي وعربي منظم.

فقد رأينا ضرورة الاتصال بـ "مالكوم إكس" الزعيم الأفروأمريكي الشهير، نظرًا لتأثيره الشديد في مجتمع المسلمين الأفارقة،

النشاط الإسلامي العربي المنظم وقت وجودي بالولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات من القرن العشرين استهدف حفظ الهوية الإسلامية للطلبة العرب وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام لدى المسلمين السود

ومحاولة تصحيح صورة الإسلام بعيدًا عن الصورة العنصرية التي استقرت في هذا المجتمع، وكانت تبدو جلية في الأفكار العنصرية التي كانت الصحف تنشرها حينئذ، وكذلك في قصر دخول المساجد على السود فقط.

وعن طريق الزميل الدكتور أحمد صديق عثمان ذي البشرة السمراء الذي استطاع التردد على مسجدهم في بوسطن وجدنا طريقنا إلى "مالكوم"، ورأينا أن نعرض عليه فكرة الحج إلى بيت الله الحرام، وفي هذا التوقيت اتصلنا بالدكتور سعيد رمضان، وكان يرأس المركز الإسلامي بجنيف، وطلبنا منه أن يجد طريقة لتحقيق هذا الأمر.

المهم أن الأمر تحقق وذهب مالكوم إكس أو مالك شباز - كما كان يسمى نفسه - إلى الحج، وعاد من الحج ليكتب مقالاً رائعًا في "لايف مجازين" يتحدث فيه عن التحول القلبي والنفسي والعقلي الذي حدث له، وأنه قد أصبح يحب ويحترم أصحاب البشرة البيضاء وأصحاب العيون الزرقاء، وبدأ رحلته وجولته الجديدة في الدعوة إلى الإسلام بعيدًا عن أفكار "أمة الإسلام" العنصرية.

وبالنسبة لعملنا مع الطلبة، فقد قمنا بتنظيم الاشتراكات في مجلة "المسلمون" بين الطلبة العرب، وهي مجلة كان يصدرها الدكتور سعيد رمضان من جنيف، ويصدر معها سلسلة من الرسائل الحضارية حول الإسلام باللغتين العربية والإنجليزية.

وكانت خطتنا هي حفظ الهوية الإسلامية للطلبة العرب المسلمين والبعد عن المعارك المشرقية، وقد وجدنا الأرض خصبة وواسعة في أمريكا، فالآلاف من المسلمين يتوافدون على الولايات المتحدة، ويحتاجون هم وأبناؤهم إلى من يقوم على تربيتهم، وهناك أيضًا ملايين الأفارقة الأمريكان الذين ينظرون إلى الإسلام كمنقذ لهم مما يشعرون به من تعصب وإهمال.

وكان الطلبة العرب ألوانًا في الفكر والسياسة، وكانت أعداد المبعوثين المصريين تفوق أعداد غيرهم من البلاد العربية، وكان للسفارة المصرية نشاطها الخاص بين الطلاب، فكانت ترسل كل شهر مجلة للمبعوثين تربطهم بالوطن وببعضهم البعض، وبفضل الله كانت هذه المجلة إسلامية التوجه، فقد كان مدير تحريرها هو الأستاذ محمد شديد، المسؤول السابق عن الإخوان في شبرا.

وهل ظل نشاطكم في أوساط الطلبة العرب في أمريكا ذا طابع فردي؟ أم أنه أخذ وجهة مؤسسية فيما بعد؟

◄ الحقيقة أن الاجتماع السنوي للطلبة العرب، الذي كانت تموله السفارات المختلفة، كان عاملاً مساعدًا في إنشاء التجمع الإسلامي، وما انبثق عنه من نشاط إسلامي شامل.

فمع حلول صيف ١٩٦٤م، دعونا نحن الثلاثي سيد وصقر وسلطان إلى اجتماع تأسيسي في جامعة ستانفرد، حضره ممثلون من معظم الولايات الأمريكية، وقرروا يومها أن يتكاتفوا في تجمع إسلامي مهمته خدمة الدعوة الإسلامية بين الطلبة والمهاجرين في أمريكا الشمالية.

ويومها سأل أحد الإخوة الجزائريين: هل هذا التجمع امتداد لأي حركة شرقية عربية أو آسيوية؟ فأكدت له أن هذا التجمع لا علاقة له بأي جماعة أو حزب من الأحزاب في العالم الإسلامي، وإنما هو فقط يبتغي بعث الهمم والحفاظ على الهوية الإسلامية للطلاب المسلمين والمهاجرين المسلمين، ورغم ذلك فإننا لا نطلب من أحد أن يهجر انتماءه لأي جماعة أو حزب في بلاده، المهم أننا هنا في أمريكا نعمل جميعًا لهدف واضح.

وبالفعل بدأ العمل ينتظم في أمريكا الشمالية، وتم تشكيل لجان للنشاط بكافة أنواعه: لجنة للكتاب الإسلامي، لجنة للمجلة الإسلامية، لجنة للعمل مع المسلمين الأفارقة، لجنة للدفاع عن قضايا العرب والمسلمين، لجنة للاتصال بالحركة الإسلامية في أوروبا للاستفادة من تجاربها وتبادل الخبرات، لجنة للمعسكرات الصيفية التي تضم الأطفال المسلمين

على الحركة الوطنية الأصيلة أن تقوم بدور الدولة في العمل الأهلي التنموي وتوجه إليه الأغلبية الصامتة من المواطنين

الأمريكيين حتى يروا نموذجًا للحياة الإسلامية، لجنة للاهتمام بجمعية الطلبة المسلمين.

والأمر المهم جدًا أن هذا التجمع لم يكن مذهبيًا، فكل المذاهب كانت ممثلة فيه: الشيعي والسني والزيدي والإباضي بجميع تفرعاتهم الداخلية، ولا أدل على ذلك من أننا رشحنا شيعة لرئاسة جمعية الطلبة المسلمين عدة مرات بعضهم إيراني وبعضهم عراقي وبعضهم أفغاني، كما أن هذا التجمع لم يكن عرقيًا، ففيه كل الأعراق، وكل الأجناس، كما أن هذا التجمع المبارك قد أثمر تعاونًا بنَّاءً بين الأقطار الإسلامية التي ينتمي إليها أفراده.

كان تجمعنا الإسلامي تجمعًا حول الأعمال، وليس له هيكلة محددة، فممثلو اللجان المختلفة يجتمعون في العام مرة واحدة، ويختارون من بينهم مسئولاً عامًا، وقد كان قدري أن اختاروني لهذه المسؤولية حتى أنهيت إقامتي بالولايات المتحدة في أواخر عام ١٩٧٠م.

وأذكر أنه في صيف ١٩٦٨م ذهبت أنا وأربعة إخوة للاجتماع السنوي للطلبة العرب، وكنت أعمل وقتئذ أستاذًا مساعدًا في جامعة تكساس، والتقينا هناك اثنين آخرين: د. أحمد صديق عثمان، والدكتور شريف بن الحاج سليمان (الذي أصبح وزيرًا للتكنولوجيا في حكومة بن جديد بالجزائر)، وكالعادة أقمنا نحن الخمسة صلاة العصر في مكان المؤتمر، وما إن انتهت الصلاة حتى رأيت خلفي معظم الحاضرين في المؤتمر، حينئذ اقترح أحمد عثمان أن ندخل الانتخابات باثنين هو وشريف، وفعلنا وكانت النتيجة مذهلة، فقد فاز شريف بأعلى الأصوات، وكان بينه وبين من يليه فارق كبير.

في هذا العام، أصبح شريف رئيسًا للمنظمة، وأحمد عثمان أمينًا للصندوق، ومحررًا مساعدًا لمجلة الطلبة العرب، وكان د. علي الدين هلال - وزير الشباب الأسبق في مصر - هو المحرر.

وقال الناس يومها كلامًا كثيرًا، قالوا: لقد جاء الإخوان بطيارة وأتوبيسين وبعضهم زادها إلى طائرتين وأربعة أتوبيسات، رجمًا بالغيب، والحقيقة ما ذكرتها: خمسة رجال لم يخطر ببالهم أن يدخلوا الانتخابات، فلما رأوا هذا الإقبال على الصلاة خطرت لهم هذه الفكرة، وحقق الله لهم هذا النجاح.

مع المخابرات الأمريكية!!

علمت منك في الحديث العابر قبل الحوار أن المخابرات الأمريكية عرضت عليك العمل معها.. ما قصة ذلك، وماذا كان رد فعلك؟

◄ نعم، التحقت بجامعة ستانفرد في يناير ١٩٦٣م ووفقني الله فأنهيت

رسالة الدكتوراه في نهاية صيف ١٩٦٤م، وأتممت مناقشتها في يناير ١٩٦٥م، والتحقت بشركة لاكهيد ببالوا ألتو في مارس ١٩٦٥م، ولكن قبلها جاءتني دعوة من الجامعة الكاثوليكية بواشنجتون لأعمل أستاذًا مساعدًا هناك، وذهبت لأعطي محاضرة وأتعرف على الأوضاع هناك. وعند وصولي إلى الفندق، جاءتني مكالمة من شخص يرجو لقائي، وقال: إنه من إدارة الهجرة.

المهم التقينا في كافيتريا الفندق، وبدأ يحدثني أنه أخذ الهاتف من زوجتي، وعلم سبب زيارتي فجاء يحذرني من التعاقد مع الجامعة؛ لأن إقامتي قد تكون غير شرعية بعد حصولي على الدكتوراه. قلت له: أولاً أنا لم أتخرج بعد، صحيح أنني أنهيت كل مطالب الدكتوراه، ولكن التخرج الرسمي في مايو ١٩٦٥م، وبعدها يحق لي البقاء لمدة ١٤ شهرًا، ثم ما هذا التتبع الدقيق لحركاتي؟ قل لي بصراحة: هل أنت عميل لـ "CIA"؟ أجابني بنعم.. وأنه يريد أن يتفاهم معي بشأن مستقبلي في مصر. قلت له: لقد فاجأتني، وأرجوك أن تؤجل الحديث حتى أعود بعد غد لكاليفورنيا.

وفي كاليفورنيا التقينا، حيث كان يقيم في فندق بضاحية بالوا ألتو التي كنت أسكن فيها أيضًا، وفاجأني الرجل بملف كامل عني وعن أسرتي وعن المعتقلين منهم في السجون المصرية، وأنه يرى أن

لا توجد إرادة سياسية عربية استطاعت - حتى وقتنا هذا - كسر الطوق المحيط بقراراتها الاستراتيجية، وقالت تعالوا ننشئ مركزًا لبحوث الفضاء أو مركزًا لصناعة الطيران

عودتي إلى مصر خير لي ولمصر، وأنهم سوف يساعدونني لأتبوأ منصبًا هامًا أستطيع من خلاله أن أناهض الوجود السوفييتي الكافر، الذي تعج به المصانع الحربية والمؤسسات العسكرية، وأنني كإسلامي ينبغي أن أتعاون معهم حتى نخرج مصر من هذا المستنقع! كنت مذهولاً من العرض، فليس في حياتي كلها إشارة واحدة إلى إمكانية تعاملي مع أي أجهزة للمخابرات، وخاصة المخابرات الأمريكية، التي كنت قد قرأت عن مصائبها الكثير والكثير في كتب ومقالات كتبوها بأنفسهم (كنت قد قرأت لتوي كتابًا عن دورهم في الثورة المصرية، وعن دورهم في إيران وغير ذلك من المقالات). المهم، قلت له: إنني حزين جدًا لاختياركم لي؛ لأن طبيعتي تأبى علي أن أعمل مع أي جهاز للاستخبارات، فقال لي: سأتركك لتفكر، ثم أتصل بك.

وحاول الرجل أن يدفع حساب الطعام والمشروبات فأبيت، فقال: إنها مدفوعة من المؤسسة، قلت له: ولهذا السبب أرفض أن تدفع، وتضاحكنا وانصرفنا.

وفي ديسمبر ١٩٦٥م، ذهبت لحضور مؤتمر علمي في "سان ديجو"، ولما عدت إلى "منلو بارك"، حيث كنت أسكن، وجدت رسالة جاءتني من إدارة الهجرة تطلب مني الرحيل خلال شهر، وقد وصلت الرسالة متأخرة ثلاثة أسابيع، وهذا يعني أنه لم يبق لي إلا أسبوع واحد، وبالفعل حزمت أمتعتي، وبعت البيت، واشتريت تذكرة على الخطوط السويسرية إلى مصر، على أن أتوقف في جنيف لعلي أستطيع عن طريق بعض الأصدقاء هناك الحصول على عمل في أي مكان. ذلك لأن بعض أصدقائي حذروني من العودة إلى مصر في هذا الوقت. لكن قبل أن أرحل بيوم واحد، اتصل بي رئيس شركة لاكهيد، وقال لي: إنهم غير مقتنعين بالأسباب التي عرفوها من إدارة الهجرة، وإنهم طلبوا منهم تأجيل هذا الأمر ستة أشهر، فيمكنني أن أبقى في أمريكا الآن، ويبدو أن الفترة التي بقيت فيها في لاكهيد من قبل، والتي أنجزت فيها إنجازًا علميًا متميزًا جعلتني قريبًا جدًا من زملائي ورؤسائي في العمل، وكانوا جميعًا متعاطفين معي، ومن ثم تعاطفت معي رئاسة الشركة، وكانت وقتها من كبرى الشركات في أمريكا.

ولأن الأمر كان معلقًا لمدة ستة أشهر، فقد بدأت أتصل ببعض الجامعات العربية بحثًا عن عمل، وأخيرًا وفقت في عرض جاءني من كلية البترول والمعادن بالظهران في المملكة العربية السعودية، واطمأن

قلبي وبدأت أعد العدة للرحيل، وما إن مضى شهر أو شهران حتى تسلمت رسالة أخرى من ذات الجامعة تلغي العرض الأول، لكن في العام نفسه زار الملك فيصل أمريكا، وأذاع تصريحًا في واشنطن لم يعجب الإدارة الأمريكية واستقبل في نيويورك استقبالاً سيئًا.

وفي ذلك الوقت، اتصل بي صديق سعودي، وطلب مني أن أذهب في وفد من المبعوثين العرب تضامنًا معه في الفندق الذي نزل فيه، المهم ذهبنا والتقيناه، وانتهز هو الفرصة ليحدثنا عن خلافه مع الرئيس عبد الناصر، وأنه متضامن مع كل القضايا العربية والإسلامية، وأن السعودية في خدمة هذه القضايا، هنا التفت الطالب أحمد صديق عثمان، ووجه حديثه للملك: أين هذا مما يحدث في بلدكم؟ وحكى له ما حدث لي مع جامعة البترول، وهنا التفت الملك لوزير بتروله الأستاذ أحمد زكي يماني، وقال له: بعد انتهاء اللقاء، اذهب مع الدكتور سيد، وأرسل برقية إلى عميد الكلية متضمنة تعيين الدكتور سيد بأمر الملك، ولقد كان، وذهبت إلى السعودية، وبقيت فيها عاما دراسيًا واحدًا، ووجدت الكلية كلها أمريكان، فعدت إلى الولايات المتحدة مرة أخرى عن طريق صديق أمريكي في رحلة الدراسة، كان قد ترك لي عرضًا مفتوحًا للعمل معهم في تكساس، وعندما اتصلت به قال: حاول أن تدخل بفيزا عادية، وأنا سأحاول أن أحصل لك على فيزا هجرة، المهم، عدت إلى الولايات المتحدة، وبقيت في تكساس عامين، ثم انتقلت لستانفرد أحاول إعداد رسالة دكتوراه أخرى في الرياضيات، وبعد عام من ذهابي لستانفرد توفي الرئيس عبد الناصر وتولى السادات، واتصل بي صديقي القديم د. أحمد كمال أبو المجد يشجعني على العودة، فعدت إلى القاهرة مرورًا بالجزائر بضعة أشهر عملت خلالها مستشارًا في مكتب وزير الدفاع الجزائري عبد الحميد الأطرش.

د. أحمد كمال أبو المجد

مصير قسم هندسة الطيران

عندما عدت أستاذًا في قسم هندسة الطيران جامعة القاهرة وجدت القسم مغلقًا.. ما أسباب ذلك؟ وماذا فعلت لإعادة فتحه؟

نعم، عندما عدت إلى القاهرة في مايو ١٩٧٩م أستاذًا في قسم هندسة الطيران وجدت القسم مغلقًا، ولقد جاهدت في الجامعة لإعادة القسم، فوجدت الطريق مسدودًا.

وفي العام الدراسي ١٩٨٣/١٩٨٤م، التقيت الأخ الصديق الدكتور محمد منصور - الأستاذ بجامعة ميونخ، وأحد الذين حكم عليهم بالسجن عشر سنوات في محاكمات ١٩٥٤م - ودعاني لزيارته على الغداء، وعندما أجبت دعوته إذا باللواء سعد شعبان - مدير مكتب رئيس الجمهورية - مدعوًا أيضًا على مأدبة الغداء، فقلت له: الخدمة الوحيدة التي أتمنى أن تلبيها لجامعة القاهرة هي مساعدتنا في فتح قسم الطيران، وبعدها بأيام جاءنا إخطار بالموافقة على إعادة قسم هندسة الطيران، فعاد بفضل الله عودة قوية.

لماذا لم يتم استثمار خبراتك العلمية وخبرات قسم هندسة الطيران في إنشاء مركز لبحوث الفضاء أو مركز لصناعة الطائرات على أرض مصر أو أي أرض عربية؟

لا توجد دولة نفطية فكرت في ذلك أو بالأحرى لا توجد إرادة سياسية عربية استطاعت كسر الطوق المحيط بقراراتها الاستراتيجية، وقالت تعالوا ننشئ مركزًا لبحوث الفضاء أو مركزًا لصناعة الطيران.. فهذا طريق وعر، أما الطريق السهل فهو إنفاق ما يزيد على ٢٥ بليون دولار لشراء طائرات أسرار صناعتها في يد الغرب.

ولي تجربة في مصر، فقد عرضت هذا الأمر على صديقي القديم الدكتور عاطف عبيد وقت أن كان رئيسًا لمجلس الوزراء، فقال لي: ضع تصورًا كيف يمكن أن نبدأ بهدوء في بحوث الطيران والفضاء، وعندما أتيته بالتصور، قال: نشكل لجنة من ٣ وزراء برئاسة الدكتور سيد، قلت يكفي أن أسهم بعلمي لوجه الله.. واقترح د. عبيد الأرض التي سيقام عليها هذا المشروع، كما اقترح مبلغًا أوليًا، لكن تغيرت الوزارة ونسي الأمر كله.

وأذكر أن أحد تلامذتي سافر للعمل في الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد غياب ٤ سنوات اتصلت به، وقلت له: ألم يحن وقت العودة يا فلان؟ قال:

ترى كم يصل راتبي الآن في الجامعة يا دكتور؟ قلت: ألف جنيه، قال: كيف تطلب مني الرجوع براتب ألف جنيه، في حين أنني أتقاضى ١٢ ألف دولار شهريًا.

وأذكر أيضًا أنني كنت جالسًا مع بعض رجال الأمن القومي، وتطرق الحديث للمرتبات، فاقترحت زيادة مكافآت العاملين معي، فرفضوا هذا الاقتراح رفضًا قاطعًا، فذكرتهم بقول الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ وقلت لهم: إن التقتير على العلماء وسياسة فضهم أو (تطفيشهم) عن تنمية أوطانهم ودفعهم للهجرة وتنمية أوطان الآخرين جريمة لا تغتفر، وسوف تسألون.

وأذكر ثالثًا أنني دعيت لندوة في مكتبة الإسكندرية حول التعاون العربي الياباني، وجاء دوري للتحدث في جلسة برئاسة وزيرة البحث العلمي بسلطنة عمان، فقلت: عندي اقتراحان، أحدهما هزلي والآخر جاد.

أما الاقتراح الهزلي، فهو أن نتبادل الحكومات، تأتي حكومة اليابان لتحكم مصر عشر سنوات، وتذهب حكومة أحمد نظيف لتحكم اليابان عشر سنوات.. وكان الدكتور إبراهيم بدران جالسًا فضحك، وقال: الله يسامحك يا سيد يا ابني.

وأما الاقتراح الجاد، فهو دعوة اليابان والصين لإنشاء مراكز بحوث علمية وتقنية في بلادنا العربية لصيانة الأجهزة اليابانية والصينية من ناحية، ولتعليم أبنائنا من ناحية أخرى.

حقيقة الأزمة

◄◄ من خلال خبرتك الدعوية والأكاديمية وأسفارك المتعددة، كيف ترى أسباب التراجع الحضاري والعلمي في أمتنا؟

◄ أرى أن العالم العربي كله ما زال محتلاً بدرجات مختلفة، وأقصد بالاحتلال احتلال القرار السياسي والقرار التنموي والقرار الاجتماعي والقرار الثقافي.

وفي هذه المرحلة الاستعمارية، تركز قوى الاستعمار على أمرين، الركاز والأسواق، وهي تسمح بحركة اجتماعية في حدود خدمة الهدفين معًا.

وما نشاهده من تفكيك المجتمع تنمويًا يصب في أهداف تفكيكه ثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا.

كما تحرص القوى الاستعمارية على تكوين ثالوث شيطاني من ثلاثة عناصر باعت دينها بدنيا رخيصة:

- نخبة سياسية انتهازية لا ضمير لها.
- رجال أعمال من أهل التكاثر المفضي إلى الأثرة والطغيان.
- نخبة من رجال أمن لا وطنية عندهم ويفعلون ما يؤمرون.

وكما تحرص هذه القوى الاستعمارية على التفكيك الداخلي لدويلاتنا العربية تحرص أيضًا على تفكيك أي بنية عربية أو إسلامية؛ حتى لا تتجمع هذه الدويلات ويقوي بعضها بعضًا.

ولا تتصور أبدًا أن القرار يصنع في دولنا، لكنه يصنع في الدول العظمى، ويستقبله الرئيس أو الملك من هؤلاء فيدفعه إلى الجهات التنفيذية في بلده.

ولا تتصور أبدًا أن دولنا يوجد بها هياكل تصنع قرارًا أو تضع استراتيجية، وإنما الموجود هياكل كلها خاوية على عروشها سواءً كانت في المعارضة أو في الموالاة.

المخرج

◄◄ في مثل ما نحن فيه مما ذكرت من أحوال عالمية ضاغطة واحتلال للقرار السياسي العربي والإسلامي.. ما المخرج من وجهة نظرك؟

◄ باختصار شديد، ينبغي على الحركة الوطنية الأصيلة أن تقوم بدور الدولة في العمل الأهلي التنموي، وتوجه إليه الأغلبية الصامتة من المواطنين، كما تكثر سواد النخبة الوطنية المثقفة لتقوم بدور الإعاقة للمشاريع الاستعمارية الفوقية لتقليل أثرها على الحياة من خلال إعلام مثقف ومن خلال رجال منبثين في مواقع القرار بحكم تخصصاتهم، ومن خلال تحريض للأجهزة الأمنية، التي يستخدمها الاحتلال لحراسة تخلفنا، على أن تتقي الله في أمتها وتفهم الدور الذي يدفعها إليه أعداء الأمة فتخفف من قبضتها ما استطاعت.

كما ينبغي على الحركة أن تنشئ مركزًا للدراسات الاستراتيجية مهمته دراسة الواقع، ووضع استراتيجيات لخطوها المستقبلي على أن يفرغ له نفر قدوة من أولي الفكر الأصيل بعيدًا عن جلبة المجالس التنفيذية والإدارية وصخب الخطباء. ■